المقدمة

الشائع أن القارة الإفريقية لاتهز أزماتها العالم، لأنها ببساطة لاتمس مادة استراتيجيه كالبترول..ولا تهدد بمواجهة بين مصالح كبار العالم اليوم، رغم ما يغلب على القارة من طابع الانقلابات العسكرية والاغتيالات السياسية، لعدة عوامل أبرزها الحدود (Les frontiéres) الموروثة عن الاستعمار (Colonialisme) التي كانت كثيرا ما تثير خلافات حادة بين الدول الإفريقية، فانحدرت في بعض الحالات إلى درك القتال على الحدود (Les frontiéres)، وبالتالي، ليس غريبا أن يقر مؤتمر القمة الإفريقية في 21 يونيو سنة (1964م) احترام الوحدة الترابية للدول المستقلة، والاعتراف (La reconnaissance) بالحدود (Les frontiéres) الموروثة عن **الاستعمار** (Colonialisme) يوم الاستقلال (Indépendance)، وهكذا كان يستغل الإمبراطور **هيلاسيلاسي** هذه الوضعية، مهددا الدول الإفريقية التي أرادت إثارة المسألة الإرترية خاصة سنة (1967م) حين طغت على مسرح الأحداث السياسية، حتى أن **وزيرا إثيوبيا** قال متوعدا: **إن من يسكن في بيت من زجاج يجب ألا يلعب بالحجار.**

إذن عدة تعقيدات في **إفريقيا**، فمثلا لا توجد في إفريقيا بالكاد حدود سياسية مبنية على الجغرافية الطبيعية كالأنهار أو الجبال أو الصحارى. ولا على الجغرافية البشرية التي ترسم الحدود (Les frontiéres) بين شعوب متكاملة، لها مقومات أو صفات أو حتى لغة واحدة.

وإلى وقت قريب نسبيا في التاريخ كانت إفريقيا قارة مجهولة. وقد سموها **القارة السوداء** لا لأن سكانها لون جلدهم أسود، ولكن لأنها قارة مجهولة..مظلمة..لايعرف أحد ما في داخلها. إفريقيا لم ترسم خريطة واحدة دقيقة قبل قرن واحد من الزمان.

وعندما دخلتها الدول الغازية من كل جانب..لم تجد إلا مجموعات قبائل ليست بالدول ولا بالقوميات ولا باللغة. فكان أن قامت هذه الدول الغازية بتقسيم إفريقيا على الورق، أي حدود كل قطر مرسومة حين تقابلت على الأرض جنود **انجلترا وفرنسا وألمانيا وايطاليا والبرتغال واسبانيا**..الخ.

وبالتالي، نلاحظ أن إفريقيا فيها أكبر عدد من خطوط " **الحدود المستقيمة** " مرسومة بالمسطرة، وليست متعرجّة متداخلة كحدود أوروبا أو **آسيا** أو غيرها من دول العالم القديم التي رسمت حدودها قوميات ولغات وهجرات وحروب طوال آلاف السنين.

وعندما استقلت الدول الإفريقية، وتكونت منظمة الوحدة الإفريقية (Organisation de l'unité africaine)، وجد كل زعماء الاستقلال (Indépendance) أنفسهم أمام اتجاهين:

الأول: هو أنه لايوجد " **شعب**" إفريقي واحد، تجمعه حدود سياسية واحدة. إنما كل "**شعب**" موزع بين عدة دول.

الثاني: هو أنه لاتوجد حدود دولة ما إلا وتجمع أجزاء من عدة شعوب وقبائل ولهجات وولاءات وأديان مختلفة. حقيقتان. كأنهما وجهان لعملة واحدة.

وانطلاقا من هذه المعطيات ارتأى الأفارقة أن فتح باب البحث في تعديل الحدود (Les frontiéres) تبعا للجغرافية، أوبناء على القبائل، معناه تغيير كل حدود القارة الإفريقية، والنتيجة الحتمية لذلك حروب تبدأ ولا تنتهي أبدا.

ولذلك كان من الحكمة الاتفاق (Acord) على شيء أساسي جدا، وهو: قداسة تلك الحدود (Les frontiéres) رغم كل مطالبها. وعدم التعرض لها والمساس بها، مهما كانت الحجج قوية، وذلك سدا لباب، لو يفتح على مصراعيه أمام الريح، فسوف تعصف الريح بالأخضر واليابس.

إن رد فعل المجتمع الإفريقي بالنسبة للحدود التي اصطنعها المستعمر والتي فصل فيها القارة إلى أقاليم متمايزة، كان ذا بعدين:

البعد الأول: ميل لدى بعض المستنيرين بقدر من الثقافة السياسية إلى توطين أركان بيئة إقليمية وصبغها بصبغة قومية محلية. أو بمعنى آخر، إنشاء قوميات افريقية محلية متعددة على نمط المفهوم الغربي للقوميات، أي تحويل إفريقيا إلى بلقان أخرى، تظل فيها الأقسام التي وضعت صدفة وبدون أي فيصل واضح،

البعد الثاني: ميل فطري لدى الإفريقي في التجاوز عن تلك الحدود (Les frontiéres) الاصطناعية إذ أنه يتجاوز عنها فعلا ولا يلزم نفسه بها. فإن الإفريقي بطبيعته رجل يسافر إلى أبعد مسافات سعيا وراء العمل. ولذلك، فإن الظاهرة الواضحة في إفريقيا هي كثرة الهجرات الداخلية المؤقتة، بحيث تكاد تغير من الحدود (Les frontiéres) الاصطناعية التي رسمها الاستعمار (Colonialisme).

ولهذا قامت الأحزاب السياسية (Les partis politiques) في إفريقيا، تتشابه خصائصها وأهدافها ومراميها البعيدة، وإن اختلفت وسائلها وطريقة تكوينها. وأسباب التشابه ومقوماته هي أنها جميعها تنادي بشيء واحد، الاستقلال (Indépendance) وحق تقرير المصير، أما عوامل تباين وسائلها وطرق نشأتها تعود إلى أسلوب القوى الاستعمارية التي قامت هذه الأحزاب لمناهضتها وإلى رد فعل تلك القوى تجاهها.

والجدير بالذكر، أن الظاهرة الواضحة في إفريقيا أنه في الأقاليم الغربية منها عامة، وأغلبها وأثناء خضوعها للاستعمار الفرنسي، كانت في هذه الأقاليم عدة أحزاب سياسية، إلا أن تعددها كان ينتمي إلى حد ما إلى الأسلوب القائم في فرنسا ذاتها، وبالتالي، كانت تمثل فروعا للأحزاب السياسية القائمة في فرنسا، وليس غريبا في ذلك، فأسلوب الإدارة الفرنسية قد بني على قاعدة انضمام المستعمرات للوطن الأم – كما كانت تتوهم فرنسا- وأن يتم ذلك الانضمام على أساس التشابه.

في إفريقيا الشرقية والوسطى، التي كانت تخضع للاستعمار البريطاني، نجد أن الأحزاب تتشابه في تكوينها وحتى في تسميتها، وهي تقوم على نظام الحزب الواحد (parti unique) أو الحزبين والتسمية الغالبة هي **حزب المؤتمر**، فنجد في كينيا وفي روديسيا وفي نياسالاند وفي جنوب إفريقيا. وقد تقوم إلى جانبه أحزاب أخرى ولأنها ليست بذات الأهمية ولأقل من مثيلاتها في إفريقيا الغربية.

أيضا، هناك عامل آخر لايستهان به في مسألة الأحزاب السياسية (Les partis politiques) في إفريقيا، وأعني به موقف المستوطنين من غير الإفريقيين. وموقف هؤلاء قد أثر إلى حد كبير في نشوء الأحزاب القوية في وسط وشرق إفريقيا. إذ أن النزعة التي تسود المستوطنين في هذه المناطق نزعة انعزالية وميل إلى التطرف العنصري. ولذلك نشأت الأحزاب القومية فيها على قدر من القوة والميل إلى وسائل العنف (Violence).

إذن الأحزاب الإفريقية تشترك برمتها في هدف واحد، وهو تعبير عن الرغبة التي تجيش في صدور أبناء هذه القارة، ويتلخص في الخلاص من المستعمر، والوصول إلى الحكم الوطني المستقل والحفاظ على ذلك الاستقلال (Indépendance) بعد ذلك أيا كان الثمن وأيا كانت التضحية المبذولة.

ولاشك أن العنصر الفعال في إقامة الدولة المستقلة، هو حال أبنائها أنفسهم والقدر الذي هم عليه من وعي سياسي. ولذلك فإن أول هدف للأحزاب السياسية القومية في إفريقيا، هو نشر الوعي السياسي بين أبناء الوطن، وتدريب المواطنين على ممارسة حقوقهم، وما تكاد دول تبلغ قدرا من الاستقلال (Indépendance) حتى يعمد زعماؤها إلى نشر الثقافة السياسية وتمريس الشعب عليها، لأنه ليس هناك معيار يحدد درجة النضج الذي ينبغي أن يتحقق عنده إقليم ما، الحكم القومي، فالقاعدة أن الحرية تنتزع ولا تمنح.

كما أن إحدى سمات الحركة الإفريقية هو إنشاء اتحادات للدول، فما تكاد تتحصل دولة على استقلالها حتى تسعى إلى اتحاد مع دولة أخرى، وهي مؤشر طيب مثل: اتحاد المغرب العربي (UMA)، والمجموعة الاقتصادية لتنمية

دول غرب إفريقيا، والمجموعة الاقتصادية لدول جنوب القارة. وخلفية الميل إلى التكتلات هو إحساس الإفريقي أن الحدود (Les frontiéres) التي رسمت في بلاده إنما هي حدود مصطنعة خلفها المستعمر بهدف تفتيت شعوب القارة الإفريقية.

ومما لاشك فيه، أن القارة الإفريقية لاتزال تعاني التدخلات الأجنبية، وهي نتيجة الحرب الباردة (la guerre froide) التي سارت القارة في فلكها، ودفعت خسائر جسيمة لاتزال آثارها بادية إلى يومنا هذا. وصحيح أن التجربة الديمقراطية (Démocratie) لاتزال في بدايتها، وتتم بطريقة ارتجالية دون تحقيق، ودون دراسة مسبقة أو أي احتياطات من أي نوع، وتحت تأثير التغييرات التي حدثت في أماكن أخرى من العالم خاصة في بلدان أوروبا الشرقية، شرع في تطبيق مسارات الديمقراطية (Démocratie) في إفريقيا، مما سمح بظهور بذور الفتنة والانقسام الأخرى، سيما بلدان ما وراء الصحراء.

عبد القادر رزيق المخادمي

باش جراح (الجزائر) سنة2005م

الموافق عام 1426هـ

خريطة إفريقيا (www.election-politique.com)